جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الإنسانية
(ISSN: 3122 – 5985)
المجلد السابع، العدد الأول 2026م
nilevalley.edu.sd

أعلام المدارس الأصولية الفقهية المغربية
"القاضي عياض نموذجًا"

إبراهيم محمد موسى محمد
كلية القانون-قسم أصول الفقه– جامعة الرباط الوطني– السودان.

تلفون: 00249924477804

تاريخ الاستلام : 2026/1/11 **تاريخ القبول : 2026/3/1**

المستخلص:

تناول الباحث في هذه الدراسة عن أعلام المدارس الفقهية والأصولية المغربية وجانب من خصائص مدارس كل منهم، وذلك من أجل الاستفادة من خبراتهم العلمية والأصولية والفقهية في استنباط الأحكام الشرعية. وتطرق الباحث بوجه خاص على العالم الجليل" القاضي عياض" اسمه ونسبه ونشأته ومدارسه الفقهية والأصولية وأثر ذلك على تلاميذه والمدارس الفقهية المغربية، واختتم الباحث الدراسة بعدة النتائج والتوصيات منها، أن أعلام المدارس الفقهية الأصولية لهم عطاء بارز في الفقه وأصوله. وأوصى الباحث مزيد من البحث والتحقيق في مدارس أعلام الفقهية والأصولية المغربية.

كلمات المفتاحية: *قاضي– عياض– مدارس-الفقه– الأصول.*

Abstract:

In this study, the researcher deals with the notables of the Moroccan jurisprudential and fundamentalist schools, and an aspect of the characteristics of the schools of each of them, in order to benefit from their scientific, fundamentalist and jurisprudential experiences in deriving legal rulings.

The researcher deals in particular with the great scholar "Qadi Ayyad", his name, lineage, upbringing, his schools of jurisprudence and fundamentalism, and the impact of that on his students and the Moroccan schools of jurisprudence.

The researcher concluded the study with several findings and recommendations, including: The notables of the fundamentalist schools of jurisprudence have a prominent contribution in jurisprudence and its principles.

The researcher recommended further research and investigation into the Moroccan schools of jurisprudence and fundamentalism.

Keywords: *Judge - Iyad - Schools - Jurisprudence - Fundamentals.*

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

الإمام والفقيه الأصولي القاضي عياض: أبو الفضل عباس بن موسى بن عياض، وشهرته: القاض عياض بين أهل المغرب والمسلمين بعدله وفقهه، وعلمه، وحب الناس إليه.

فإنه من أعلام المدرسة الأصولية المغربية، بل هو من أعلام الأمة الإسلامية وكنز من كنوز علم أصول الفقه في عصرنا المعاصر.

عندما كنت طالبا في المرحلة الجامعية بكلية الشريعة بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية فمر علىً اسمه لأول مرة، فظنت أنه في أواخر القرن الأول قبل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى

ولكن عندما اطلعت على سيرته ووجدت أنه مغربي من مدينة فاس أو مراكش، وتشوقت في الاطلاع على سيرته وعلمه، ووجدت أنه بحر لا حدود له في العلم والأدب والأخلاق والورع والزهد.

مشكلة البحث:

تعددت المدارس الأصولية والفقهية المعاصرة مما أدى إلى تحزب والتشتت والتنازع والكل يرى أن مدرسته هي الأساس وهي الأصح، ونسي أن الاختلاف في وجهات النظر في فهم نصوص الشرعية من الكتاب والسنة قائم على اختلافين:

الأولى: خلاف معتبر: وهو الخلاف الذي يختلف مدرسة أصوليًا مع مدرسة أخرى، ولكنه قائم على الأدلة فيرجح أحدهما على الآخر.

الثاني: خلاف غير معتبر هو الذي لا أساس له من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس السليم.

أسباب اختيار الموضوع:

- التعرف على الأصولي والفقيه الأندلسي المغربي ومدارسه الأصولية والفقهية.
- الاستفادة من خبراته المدارس الأصولية والفقهية المغربية.
- التعرف على طرق استنباط مدرسة الأصولي القاضي عياض.

أهداف البحث:

- التعرف على المدرسة الأصولية المغربية.
- التعرف على علم من أعلام المدرسة الأصولية المغربية القاضي عياض.
- القاضي عياض ودوره في المدرسة الأصولية المغربية المعاصرة.

أهمية البحث:

- تعدد المدارس الأصولية والفقهية في العالم الإسلامي
- شمولية الإسلام ومرونته ومواكبته للتطور في كل العصور.
- جواز الاجتهاد والاستنباط في عصرنا المعاصر.

خطة البحث:

- **المبحث الأول:** أعلام المدارس الأصولية الفقهية المغربية.
- **المبحث الثاني: ترجمة القاضي عياض نشأته.**
- **المبحث الثالث**: مدارس القاضي عياض الفقهية والأصولية.

المبحث الأول:

أعلام المدارس الأصولية الفقهية المغربية.

يتناول الباحث في هذا المبحث عن بعض أعلام المدرسة الأصولية الفقهية المغربية لأن أعلام المدارس الأصولية كثيرة لا تعد ولا تحصى يحتاج إلى موسعة لجمع الأعلام فيها.

ويمكن أن نقسم أعلام المدارس علم الأصولية الفقهية المغربية:

المطلب الأول: مدرسة مدينة فاس الأصولية والفقهية وأعلامها:

وجاء في مقدّمة ابن خلدون أن مدرسة القيروان ومدرسة قرطبة قد انتقلت إلى مدينة فاس، وتمسّك بهما المغرب) ابن خلدون/367.(

وقد عرفت مدينة فاس العامرة بكثرة المجالس العلمية ومنتديات المناظرة، واختلط الفقه بعلم أصول الفقه (كنون، -د.ت.- ص/75.(

ومن أهم أعلام مدرسة فاس الذين اهتمّوا بأصول الفقه على النحو التالي:

أولاً: ابن عمران الفاسي:

وهو من أشهر أعلام المدارس الأصولية والفقهية في المغرب، وقد اهتمت مدارسه بالفقه والأصول، وكان يدرسهم في القيروان وفاس.

واستمرت مدارسه من بعده عن طريق تلامذته واعتنوا بالفقه وأصوله شرحًا، وتحليلًا، وتدريسًا حتى يومنا هذا (كنون، -د.ت.-ص/75.(

ثانيًا: ابن الصابوني.

وهو عبد الجليل الدياجي الربعي الذي توفّي في منتصف القرن الخامس الهجري، وأصله من القيروان، وقد تعلّم على يد أبي عمران الفاسي، واشتغل بالتدريس بفاس وقلعة بني حماد، كان يدرس العقيدة وأصول الفقه (المرجع السابق).

ثالثًا :عثمان بن عبد الله السلالجي الفاسي (ت: 574هـ)

كان يدرس علم الاعتقاد (علم الكلام) من جهة، وعلم أصول الفقه من جهة أخرى. ومن تلامذته الذين درسوا عليه الأصول ابن الرمامة محمد بن علي القيسي من قلعة حماد، وقد توفّي بفاس سنة 567هـ، وتلميذه: كابن الكتاني محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي (ت: 596هـ) الذي عرف بكونه إمامًا لأصول الفقه وعلم الكلام، وله رجز في أصول الفقه (المراكشي، 1984م، ج8/ 427-428).

رابعاً: ابن نموي الفاسي يوسف عبد الصمد (ت:614هـ)

والذي قال عنه صاحب الذيل والتكملة: «كان مبرّزًا في الفقه والأصول مع مشاركة في الحديث وتضلّع في علم الكلام» (المراكشي، 1984م، ج8/ 427-428).

خامسًا: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأنصاري الخزرجي.

والمعروف بابن الحصار الفاسي (ت: 610 أو 611 هـ)، فقد كان محدّثًا ومفسّرًا وراويةً، وفقيهًا أصوليًّا، وله كتاب في أصول الفقه بعنوان (البيان في تنقيح البرهان)، شرح فيه برهان أبي المعالي الجويني (المراكشي، 1984م، ج8/ 427-428).

تعليق الباحث:

والكلام عن مدينة فاس المغربية الذي يمكن أن يسميها بأنه مدينة العلم والعلماء والصالحين والأولياء وقد عرف العالم الإسلامي قاطبة بذلك.

والكلام عنها وعن علمائها وفقهائها يؤلف عنها الكتب والمجلدات، ولا يمكن أن نحيط بأعلام المدارس الأصولية والفقهية فيها، لأن طبيعة هذا البحث الاختصار. لذلك فتلك لمحة من لمحات مدينة فاس ومدارسها الفقهية والأصولية.

المطلب الثاني: مدرسة مراكش الأصولية والفقهية وأعلامها.

وتعتبر مدينة مراكش من أشهر المدن التاريخية والحضارية القديمة في المغرب والأندلس، وقد عرف بالحضارة والثقافة الشعبية والعلمية والفقهية وأكثر مدينة قرأت عنها في كتب المؤرخين عن المغرب هو مدينة فاس ومراكش دار العلم والفقهاء ويكفي فيها جامعة قاضي عياض وهي مدينة التي عاش فيها ونشر فيها فقهه وعلمه وأدبه قبل وصوله إلى عالم الإسلامي.

وقد احتفظت مراكش، خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، «بما كان يدرس فيها من العلوم العقلية خلال العصر الموحّدي. وكان من نتائج ذلك ظهور ابن البناء المراكشي (ت: 721 هـ) الذي ألّف عدّة مؤلّفات في هذه العلوم» (إسكان، 2004م، ص106).

ومن أبرز أعلام مدارس الفقهية الأصولية في مدينة مراكش المغربية:

أولاً: بن يحيى الكتامي الحميري:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الكتامي الحميري، ويعرف بابن القطان، فقد ولد بفاس، وإن كان قرطبي الأصل، كان مولده سنة (628 هـ)، وقد سكن مراكش، وترأّس طلبة العلم بهذه المدينة.

ومن أهم مؤلفات في أصول الفقه الذي أسس فيها مدرسة الأصولية والفقهية، منها كتاب: (بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام) لعبد الحق الإشبيلي، وله كتاب أيضًا في الردّ على ابن حزم في المحلّى، وله كتاب (البستان في أحكام الجنان)، وله كتاب في شيوخ الدار قطني، وله كتاب في أصول الفقه ردّ به على ابن الطوير الصنهاجي (المراكشي، 1984م، ج8/ 427-428).

ثانيًا: ابن الطوير عمر بن محمد السويسي الصنهاجي (ت: 622 هـ(

درس أصول الفقه في المشرق العربي، وقد أخذ العلم عن عبد الوهاب البغدادي، وقد درس الفقه وأصوله واللغة العربية في كل من المهدية، وإشبيلية، ومراكش.

وقد عرف بالورع والزهد والتقوى والتصوّف، وله مذهب خاص في إثبات القياس قد أثار ردودًا عدّة من بينها ردّ أبي الحسن بن القطان من جهة، وردّ العالم الليبي عبد الحميد بن أبي الدنيا من جهة أخرى (المرجع السابق).

ثالثًا: ابن الإشبيلي:

هو علي بن محمد الذي استقرّ مراكش، وتوفي فيها سنة 567 هـ، وقد كان بارعًا في علم أصول الفقه وعلم الكلام، ومن أهم تلامذته ابن الزبير، وأبو عمر، وعثمان السلالجي (المرجع السابق).

الخلاصة:

وهذا مختصر من أبرز أعلام المدارس الفقهية والأصولية وظهر لنا ما مدى أثر المدارس الفقهية الأصولية على العالم الإسلامي وإسهاماتهم في علم أصول الفقه.

المبحث الثاني:
ترجمة القاضي عياض نشأته.

المطلب الأول: ترجمة القاضي عياض.

اسمه ونسبه:

هو الإمام الحافظ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض الي حصبي السبتي

ويقول ابنه محمد في الجزء الذي ألفه التعريف بوالده: هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض الحصبي) القاضي عياض1997ص/64.(

هو: القاضي المجتهد، المحدث، الحافظ، الفقيه، الأصولي، المفسر، المؤرخ، اللغوي، الأديب، الشاعر، المصنف المجيد، الخطيب الفصيح، العالم، العامل، الزاهد، الفاضل، الورع، المجاهد، علامة المغرب، وأحد آحاد الزمان (القاضي عياض1997ص/64.(

مولده :أجمع المترجمون للقاضي عياض على أن مولده كان في سنة ست وسبعين وأربعمائة من الهجرة، وعلى وجه التحديد في منتصف شهر شعبان، في مدينة سبتة المغربية. يقول ابن بشكوال: كتب لي القاضي عياض بخطه يذكر أنه ولد في منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة) القاضي عياض1997ص/64.(

نشأته:

ويقول عنه ابنه القاضي محمد بن عياض في ترجمته له:

نشأ أبي على عفة وصيانة، مرضي الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفا بالنبل والفهم والحدق، طالبا للعلم، حريصا عليه، مجتهدا في طلبه، معظَّما عند الأشياخ من أهل العلم وكثير المجالسة لهم، والاختلاف إليهم.

وفاته:

قال صاحب كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض

- القاضي المغرب الأجل وحافظه الأكبر، عياض بن موسى اليحصبي، صاحب الشفاء، ومشارق الأنوار وكثير من المصنفات الجليلة في الدين وعلوم اللغة والنحو، توفي سنة 544 هـ. بمراكش المغرب (المقري، 1939-1358– ص/2).

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه:

ومن أوائل شيوخه: أبو علي الصدفي الذي كان قد سافر لوقت طويل نحو الشرق والتقى بأكثر من 160 عالما هناك، وعاد بعلم كبير وبات مرجعا أساسيا في الأندلس، وحين انتقل القاضي عياض إلى قرطبة بحثا عنه وجده قد اختفى عن الأنظار لرفضه عرضا بتولي مهمة القضاء، وكثير من طلبة العلم يبحثون عنه، ثم برز من جديد فأخذ عنه القاضي عياض العلم، ثم عاد إلى سبتة.

والفقيه أبو إسحاق إبراهيم الفاسي أحد شيوخه المنتسبين إليها، وهو ممن أخذ عنهم القاضي عياض في سبتة (المقري، 1939-1358– ص/2).

ومن أشهر شيوخ القاضي عياض كما ورد في عدة مراجع وهي على النحو التالي:

أولا: أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي، السبتي (ت: 505هـ) (صالح، 1424هـ، ص/45).

قال عياض: (أجل شيوخ أهل بلدنا ((سبتة)) رحمه الله وقدم فقهائها...لازمته كثيراً للمناظرة في ((المدونة)) و((الموطأ)) وسماع المصنفات. فقرأت وسمعت عليه -بقراءة غيره-كثيراً، وأجاز لي جميع رواياته). سمع عليه صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والموطأ، وغريب الحديث لأبي عبيد، وعلوم الحديث للحاكم، والمدونة –مرات-، وغيرها.

ثانيًا: أبو علي الحسين بن محمد ابن سكرة الصدفي(ت:514) (خلف، 1414هـ ج1/143-144.(

قال عياض: (كان عارفاً بالحديث، قائماً به، حافظاً لأسماء الرجال، عارفاً بقوتهم من ضعفهم، ذا دين متين، وخلق حسن وصيانة، من أجل من لقيناه). سمع منه الصحيحين، والسنن والشمائل للترمذي، تاريخ البخاري، علل الدار قطني، والإشارة للباجي في الأصول وغيرها.

ثالثًا: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب الجذامي القرطبي(ت:520) (صالح، 1424هـ، ص/45).

قال عياض): بقية المشيخة بقرطبة، وممثليهم، ومقدم مفتيهم، وأكبر مسنده، ...وكان قائماً على الفتوى، عارفاً بالنوازل، مقدماً في ذلك، تدرب مع أبيه ومارسها بطول عمره، وكان فاضلاً، متواضعاً، صبوراً على الجلوس لسماع، متحملاً المشقات في ذلك، ثقة، فهماً بما يقرأ عليه). أخذ عنه موطأ يحيى، وصحيح البخاري، والملخص للقابسي، والمدونة، وغير ذلك كثير، وأجازه جميع رواياته.

رابعًا: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد(ت:520) (صالح، 1424هـ، ص/45).

قال عياض:(زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم، المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصيراً بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، كثير التصنيف مطبوعة).

سمع منه جزءا من مختصره على المبسوطة، وأجازه جميع مروياته.

خامسًا: أبو محمد عبد الله بن محمد بن منصور اللخمي السبتي(ت:513) (المرجع السابق).

قال عياض: (أحد رجال وقته وفقهاء زمنه، كان من أهل الفهم والنباهة والنظر والتفنن والمشاركة في ضروب العلم، ناظرنا عنده في (المدونة) و(الموطأ) وأصول الفقه والدين. وكان يحضر مجلسه الأكابر، من شيوخنا وأصحابه، لكثرة فائدته...).

سادسًا: أبو عبد الله محمد بن داود العتكي القلعي القاضي(ت:525) (المرجع السابق).

قال عياض: (صحبته كثيراً ودرست عليه أصول الفقه. وكان جليلاً، فاضلاً، فقيهاً، ذكياً).

سابعًا: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري السبتي الخطيب) (502) المرجع السابق).

درس عليه الأصول. قال عياض: (من أهل بلدنا، ولي خطابة منبره غير مرة، قرأت عليه المنهاج من تأليف القاضي أبي الوليد الباجي في الجدل والمناظرة، وحدثني به عنه، وقرأت عليه الرسالة للقاضي أبي بكر بن الطيب قراءة مناظرة وتفقه، وقرأنا عليه غير ذلك).

ثامنًا: محمد بن عبد الله المعروف بـ المروري المقرئ(ت:500) (المرجع السابق).

قال عياض: (الشيخ المقرئ من المتصدرين ب(سبتة)، لإقراء القرآن مدة عمره، قائماً بعلم القراءات واختلاف القراء. قرأت عليه القرآن عدة ختمات).

تاسعًا: أبو محمد عبد الله بن إدريس الأموي المقرئ السرقسطي(ت:515) (المرجع السابق).

قال عياض: (قرأت عليه القرآن برواية نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، بطرقها).

عاشرًا: عبد الله محمد بن سليمان النفزي المعروف (بابن أخت غانم) (ت:525) (صالح، 1424هـ، ص/45).

درس عليه كثيراً من كتب الأدب واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم قراءة وسماعاً ومناولة.

11-أبو علي الحسن بن علي بن طريف التاهرتي (ت :501) (ابن الأبار، 1387هـ ص/72.(

قال عياض: (شيخ بلدنا في النحو، مشهور بالصلاح، درست عليه كثيراً من كتب الأدب والنحو).

ومن شيوخ الإجازة:

12-أبو علي الحسين بن محمد الغساني القياني (ت: 498 هـ) صالح، 1424هـ، ص/45).

قال عياض: (شيخ الأندلس في وقته، وصاحب رحلتهم، وأضبط الناس لكتاب، وأتقنها الرواية، مع الحظ الوافر من الأدب والنسب، والمعرفة بأسماء الرجال، وسعة السماع.). أجازه فهرسته الكبرى وجميع مروياته.

13-الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ابن أبي زندقة) (ت: 520) (المرجع السابق).

قال عياض:(تقدم في الفقه: مذهباً وخلافاً، وفي الأصول وعلم التوحيد. وحصلت له الإمامة، ودرس هناك، ولازم الزهد والانقباض والقناعة، مع بعد صيته وعظم رياسته). وكتب إليه يجيزه جميع رواياته وتصانيفه.

14-أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (ت: 536) (صالح، 1424هـ، ص/45).

قال عياض: (إمام إفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر المستقلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر). وكتب إليه يجيزه كتابه ((المعلم في شرح مسلم))، وغيره من تواليفه.

15-أبو طاهر السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني (ت: 576هـ) (المرجع السابق).

قال عياض) **:نزيل** الاسكندرية، أحد المكثرين بها، وبقية المسندين، تفقه للشافعي، ودرس علم الكلام والأصول والأدب...وكان فاضلاً، نبيهاً، متفنناً، شاعراً مطبوعاً...وكتب إلي يجيزني في جميع رواياته ومجموعاته).

تلاميذه: ومن أشهر تلاميذه:

أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال(ت: 598 هـ) هو: إمام، حافظ محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، جمع بين علوم الرواية والدراية، سمع من القاضي بقرطبة، ثم كتب إليه من سبتة مجيزاً، له تصانيف بديعة (صالح، 1424هـ، ص/45).

2-أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي (ت: 592 هـ) أحد من ختمت به المائة السادسة، الفقيه العالم، الراوية، المحدث، الجامع بين المعقول والمنقول، لقي بسبتة أبا الفضل عياض وأجاز له (مخلوف، -د. ت-ص/160).

3-أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي القصير الغرناطي (ت: 576هـ) فقيه مشاور، رفيع القدر، جليل، أديب بارع، صاحب رواية ودراية، له مصنفات كثيرة (المرجع السابق).

4-ابنه أبو عبد الله محمد بن عياض (ت: 575وقيل595هـ) كان فقيهاً جليلاً أديباً كاملاً، أخذ عن والده، وابن العربي، وابن بشكوال وغيرهم (صالح، 1424هـ، ص/45).

5-أبو عبد محمد بن سعيد ابن زرقون الإشبيلي (ت: 586هـ) أحد مبرزي فقهاء وقته، لغوي، أديب، شاعر، مشارك في سائر العلوم، وقد لازم عياضاً كثيراً واختص به، وكتب له أيام قضائه بغرناطة، له مصنفات بديعة (ابن فرحون، 1417هـ ص/379).

6-أبو بكر عبد الله [ابن غالب] بن طلحة بن أحمد الغرناطي (ت: 598 هـ). الإمام العالم المحدث الفاضل كان معدوداً في فقهاء بلده صدراً في أهل الشورى والفتيا، سمع أبا الفضل عياض وغيره (صالح، 1424هـ، ص/45).

7-أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الصقر الأنصاري(ت:569). وهو محدث، حافظ، فقيه، أصولي، لغوي، أديب، شاعر، لازم القاضي عياض، له مصنفات مفيدة (المرجع السابق).

8-أبو بكر محمد بن خير الأموي الإشبيلي(ت:575) إمام فاضل، مقرئ، محدث، واسع الرواية، أديب، لغوي، مشارك في سائر العلوم، أخذ عن القاضي عياض سماعاً وإجازة (المرجع السابق).

9-محمد بن حسن بن عطية، المعروف بابن غازي(ت:560). فقيه، محقق متقن، شاعر، أديب، من أهل سبتة، روى عن القاضي عياض، واختص به ولازمه وسمع منه جل روايته وتأليفه (صالح، 1424هـ، ص/45).

10-أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف يعرف بابن قرقول (ت: 569). إمام، فقيه، عالم، فاضل، محدث، روى عن القاضي عياض، وألف مطالع الأنوار على منوال مشارق الأنوار للقاضي عياض (المرجع السابق).

المطلب الثالث: ثناء العلماء على قاضي عياض:

1. قال عنه العلامة محمد أمين الصحراوي إن مقامه مقام البخاري ومسلم والأئمة الأربعة، فهم حملة الشريعة وارتبط اسمه بمقولة "لولا كتاب الشفا لما عرف القاضي عياض، لولا عياض لما عرف المغرب" الشائعة بين المغاربة. وتنسب المصادر التاريخية أصوله إلى قبيلة يحصب، وهي قبيلة من حِمير التي ينتسب إليها الكثير من العرب، ممن نزلوا بالشام ومصر وبعضهم الأندلس بعد الفتح.
2. وقال أبو محمد بن أبي جعفر ((ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض) (غرناطة/1397هـ /229).
3. قال عنه الذهبي:))الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام القاضي عياض بن موسى... استبحر في العلوم وجمع وألف وسارت تصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق((صالح، 1424هـ، ص/45).
4. قال السيوطي:))بعد صيته، كان إمام الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ( )المرجع السابق).
5. قال ابن فرحون:))كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه عالما بالتفسير وجميع علومه فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم.) ((المرجع السابق).

6. وقال الملاحي: ((كان القاضي عياض-رحمه الله تعالى-بحر علم، وهضبة دين وحلم، أحكام قراءة كتاب الله تعالى بالسبع، وبلغ من معرفته الطول والعرض، وبرّز في علم الحديث، وحمل راية الرأي، ورأس في الأصول، وحفظ أسماء الرجال، وثقب في علم النحو، وقيد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء، وأنحاء العلماء، وأغراض الأدباء) (المرجع السابق).

المبحث الثالث:

مدارس القاضي عياض الفقهية والأصولية.

المطلب الأول :مدرسة القاضي عياض في أصول الفقه.

بين القاضي عياض رحمه الله أن منهجه العام في مسائل الأصول لا يخرج في الجملة على ما قرره أئمة الدين، وفقهاء الإسلام من الالتزام بالمصادر التي كاد يقع الإجماع على الاعتداد جميعها، من كتاب وسنة وإجماع وقياس (صالح، 1424هـ، ص/45).

مع بيان منزلة كل مرتبة منها، والشروط العامة للنظر فيها، والاقتباس المباشر منها.

وذلك بقوله: ((اعلموا وفقنا الله تعالى وإياكم أن حكم المتعبد بأوامر الله تعالى ونواهيه، المتشرع بشريعة نبيه -عليه السلام-طلب معرفة ذلك وما يتعبد به، وما يأتيه ويذره، ويجب عليه ويحرم، ويباح له ويرغب فيه **من:**

- **كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام:** فهما الأصلان اللذان لا تعرف الشريعة إلا من قبلهما، ولا يتعبد الله تعالى إلا بعلمهما.

-**ثم إجماع المسلمين** مرتب عليهما، ومسند إليهما، فلا يصح أن يوجد وينعقد إلا عنهما، إما من نص عرفوه ثم تركوا نقله، أو من اجتهاد مبني عليهما على القول بصحة الإجماع من طريق الاجتهاد.

وهذا كله لا يتم إلا بعد تحقيق العلم بذلك، والطرق والآلات الموصلة إليه من نقل، ونظر، وطلب قبله، وجمع وحفظ، وعلم وما صح من السنن واشتهر، ومعرفة كيف يتفهم، وما به يتفهم من علم ظواهر الألفاظ، وهو علم العربية واللغة، وعلم معانيها، معاني مراد الشارع ومقاصده، ونص الكلام وظاهره وفحواه، وسائر مناحيه وهو المعبر عنه بعلم أصول الفقه (المرجع السابق).

وأكثر ما يتعلق بعلم العربية ومقاصد الكلام والخطاب.

ثم يأخذ **قياس** ما لم ينص عليه على ما نص بالتنبيه على علته أو بشبيهها له. وهذا كله يحتاج إلى مهلة والتعبد لازم لحينه، ثم إن الواصل إلى هذا الطريق وهو طريق **الاجتهاد** والحكم به في الشرع قليل وأقل من القليل بعد الصدر الأول والسلف الصالح والقرون المحمودة الثلاثة.

وإذا كان هذا، فلا بد لمن لم يبلغ هذه المنزلة من المكلفين، أن يتلقى ما تعبد به وكلفه من وظائف شريعته ممن ينقله له، ويعرفه به ويستند إليه في نقله وعلمه وحكمه، **وهو التقليد.**

ودرجة عوام الناس بل أكثرهم هذا وإذا كان هذا فالواجب تقليد العالم الموثوق به في ذلك، فإذا كثر العلماء فالأعلم. وهذا حظ المقلد من الاجتهاد لدينه ولا يترك المقلد الأعلم، ويعدل إلى غيره وإن كان مشتغلاً بالعلم، فيسأل حينئذ عما لا يعلم حتى يعلمه كما قال الله تعالى:﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾{سورة الأنبياء:7، النحل:43}

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به الخلفاء بعده وأصحابه، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الناس ليفقههم في الدين، ويعلمهم ما كتب عليهم، وحث الله تعالى على ذلك بقوله:﴿ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾{سورة التوبة 122}.

وكان أولى من قلده العامي الجاهل والمبتدئ المتعبد والطالب المسترشد والمتفقه في دين الله تعالى وأحق بذلك **فقهاء أصحاب رسول الله** صلى الله عليه وسلم الذين أخذوا عنه العلم وعلموا أسباب نزول الأوامر والنواهي ووظائف الشرائع. ومخارج كلامه عليه السلام وشاهدوا قرأن ذلك وشافها في أكثرها النبي عليه السلام واستفسر عنها...) (القاضي عياض، 1403هـ 59).

وقد ألّف القاضي عياض في هذا المجال كتابه المعروف "ترتيب المدارك"، وهو يُعد أكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي ورواة الموطأ وعلمائه، وقد دافع عن نظرية المالكية في الأخذ بعمل أهل المدينة، باعتباره عندهم من أصول التشريع.

تعليق الباحث:

وظهر فيما سبق الملامح الأساسية للقاضي عياض في مدارسه الفقهية والأصولية حيث يقر بأصل مالك في الفقه وأصوله وهي قول أهل المدينة الذي ميز الإمام مالك رحمه الله عن بقية المذاهب، بل اشتهر مالك بهذا الأصل وأسس مذهبه بها، لذا فإن القاضي عياض أيضًا يعتبره أصلاً من أصول التشريع.

مؤلفاته في الفقه وأصوله:

1. التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة
2. الإعلام بحدود وقواعد الإسلام.
3. القواعد.
4. نظم البرهان على صحة جزم الأذان.
5. المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان.
6. أجوبته عما نزل أيام قضائه من نوازل الأحكام.
7. الأجوبة المحيرة على الأسئلة المتخيرة.
8. أجوبة القرطبيين.
9. كتاب سر السراة في أدب القضاة.
10. مطامح الأفهام في شرح الأحكام.

المطلب الثاني: مدرسة القاضي عياض في عرض المسائل الأصولية

أولاً: لقد تناول القاضي عياض قدرا كبيرا من أمهات المسائل الأصولية، التي عليها مدار كثير من المسائل الفقهية المختلف فيها (صالح، 1424هـ، ص/ 75-78).

فقد اكتسبت هذه المسائل جوانب مهمة، منها:

- كونها مسائل انبنت عليها فروع فقهية، فقد خلت عن المسائل العارية عن التطبيق الفقهي.
- كثير منها مقرون بدليله من النص أو التعليل، وذلك لأن كثيرا منها تناوله عند شرحه للأحاديث.
- تناول بعض القضايا بإسهاب وتفصيل، قل أن يوجد عند غيره، مما حدا من بعده إلى اختصار كلامه من جهة، والإشادة به من جهة أخرى.

وذلك كمسألة: العصمة، وعمل أهل المدينة، وأفعال الرسول، وطرق التحمل (المرجع السابق)

ثانيًا: لقد اعتمد على مجموعة من أمهات كتب الأصول، مصرحا بها تارة أو اسم مؤلفه، ومبهما لها أخرى. من ذلك:

- إحكام الفصول في أحكام الأصول، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت: 474هـ).
- أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب (ت: 403 هـ) وقد أكثر من النقل عنه
- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن حيوية أبو المعالي الجويني، شيخ الشافعية، له تصانيف منها والورقات، والبرهان، والتلخيص في أصول الفقه، ولد عام(419هـ) وتوفي سنة(478هـ) طبقات الشافعية للسبكي 165/5) (ت: 478)، وله البرهان في أصول الفقه.
- القاضي عبد الوهاب: ابن نصر
- والقاضي إسماعيل بن إسحاق الأزدي (ت: 282 هـ)

3-جمع في كثير من المسائل المشتركة بين أصول الفقه، ومصطلح الحديث بالتنبيه على مذهب أهل الحديث، ومذهب الأصوليين والفقهاء أيضا.

قال رحمه الله: ((واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم (صالح، 1424هـ، ص/ 75-78).

فمعظم **الفقهاء والمحدثين والمتكلمين** من السلف والخلف على جواز وقوعها منهم، وحجتهم ظاهر القرآن والاخبار) (القاضي عياض،1419هـ 574/1(

وقال:))قال مسلم: " خبر الواحد الثقة عن الواحد حجة يلزم به العمل". هذا الذي قاله هو مذهب جمهور المسلمين من السلف **والفقهاء والمحدثين مذهب الأصوليين)** (...القاضي عياض، 1419ه168.(

وقال في زيادة الثقة: ((اختلف الناس في الراوي الثقة إذا انفرد بزيادة في الحديث عن سائر رواة شيخه.

فذهب معظم **الفقهاء والأصوليين والمحدثين** إلى قبول زيادته (صالح 1424هـ، ص/ 75-78).

المطلب الثالث: مدرسة القاضي عياض في القضاء:

تولى القاضي عياض منصب القضاء بمدينة سبتة عام 510 هـ، وكان وقتها في عامه الخامس والثلاثين، وكانت أولى علامات الفساد بدأت في الظهور في عهد الدولة المرابطية، من قبيل الوساطة والشفاعة لبعض الناس، والمحسوبية لهم على حساب الآخرين؛ فتصدى القاضي عياض لتلك الآفة، وأبدى حزما في تطبيق الحدود والأحكام، واشتهر بين الناس بعلمه الغزير ودقة فتياه، وحياده الكامل، حتى ذاعت شهرته في كل مكان.

جعلت هذه الشهرة الحميدة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين يوليه قضاء غرناطة بالأندلس، ليصلح من شأنها، نظرا لانتشار المفاسد بين أهلها، وكثرة القلاقل والاضطرابات بها، وكان ذلك عام 531 هـ، فسجلت المصادر كيف أعرض عن الشفاعات والمؤثرات، وردع أتباع السلطان عن الباطل، وعزل كل من ثبتت عدم أهليته وكفاءته من منصبه، ولم يكن يواجه في كل ذلك سوى والي الأندلس، تاشفين بن علي، فقد استاء منه وضاق به ذرعا.

خاصة أن القاضي عياض كان يرفض أي تدخل في عمله، وتمنّع ضد أي محسوبية أو وساطة، حتى ولو كانت من الأمير نفسه (المرجع السابق).

تعليق الباحث:

من مميزات مدرسة في القضاء هو:

1. الرفض عن أي تدخل في عمل القاضي والمفتي والمجتهد ونحن في أمس الحاجة هذا السلوك الصارم والحازم الجرعة عند العلماء والباحثين والشيوخ والدعاة في عصرنا المعاصر.
2. عدم المحسوبية والوساطة، وهذا أهم ملامح مدرسته في القاضي، ويعتبر هذا من أهم تطبيق العدالة والأمانة في الوظيفة العامة في الدولة، والذي اختل توازنه في دولنا الإسلامية اليوم حيث أن المحسوبية الحزبية والجهوية والقبلية والواسطة هي التي تسود في تولي الوظائف العامة في الدولة، وقد دفع القاضي عياض ثمن ذلك إلى عزله من القضاء.

خاتمة:

وفي الختام نحمد الله على نعمه ومنه وكرمه، وهذا وما كان من خطا فمني ومن الشيطان وما كان من صواب فمن الله.

فالكلام عن أعلام مدارس الأصولية والفقهية المغربية والقاضي عياض العالم الجليل الفقيه الأصولي المفسر والمجمل لا يكفي أن تحيط في هذا البحث الذي لا تتجاوز صفحاته عن 20 صفحة في سيرته العطرة والمليء بالعطاء.

وعليه نكتفي بهذا القدر ونسأل الله أن يجعلنا مع الصديقين والشهداء والصالحين والعلماء الربانيين وحسن أولئك رفيقًا.

وقد توصل الباحث في ختام هذا البحث على عدة توصيات والنتائج وهي على النحو التالي:

أولا: النتائج:

- أعلام المدارس الفقهية الأصولية لهم عطاء بارز في الفقه وأصوله.
- القاضي عياض فريد من نوعه ومميز في مدارسه وفقهه وأصوله.
- أن القاضي نال ثناء العلماء في زمنه وهذا اعتراف على أنه بحر في العلم والفقه والأصول.
- من آثاره انتشار اسمه في فضاء العلم والفقه المعاصر في العالم الإسلامي.

ثانيًا: توصيات:

- اوصي بمزيد من البحث والتحقيق في مدارس أعلام الفقهية والأصولية المغربية.
- اوصي بتدريس المدارس الأصولية والفقهية وأعلامهم في الجامعات.
- الاقتداء بأثر الأعلام في علمهم وتعليمه وعلمهم وحكمتهم.

المصادر والمراجع.

ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، ط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، -الرباط، الطبعة 1984م، ج8/ 427-428.

ابن فرحون، القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب تحقيق مأمون بن محيي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، ط1 1417هـ.ص/379.

الإحاطة في أخبار غرناطة. لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله بن عنان، مكتبة الخانجي، ط1/1397هـ229/ .

الإمام شمس الدين الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ط: دار إحياء التراث، عن دائرة المعارف العثمانية. 1305/3.

الحسين إسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، ط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية -الرباط -الطبعة الأولى 2004م، ص:106.

الحسين بن محمد شواط، منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم: دار ابن عفان ط/1-14 14هـ.ص/ 127،

خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال اعتنى به السيد عزت العطار، الصلة. ط: مكتبة الخانجي، ط/2 1414هـ.ج1/143-144،

صالح محمد أحمد – آراء القاضي عياض الأصولية جمعا ودراسة – رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – كلية الشريعة – قسم أصول الفقه – العام الجامعي 1424 هـ، ص/ 39.

عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الجزء الأول، (د.ت.) ص:75.

القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، تحقيق مأمون بن محيي الدين الحنان، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط :دار الكتب العلمية، ط1 1417هـ ص/271.

القاضي عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم. تحقيق يحيى إسماعيل، ط: دار الوفاء ط/1، 1419هـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها 574/1.

القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق محمد بن تداويت الطنجي، وغيره، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، ط/1 1403هباب ترجيح مذهب مالك والحجة في وجوب تقليده وتقديمه على غيره من الأئمة 59/1.

القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث، رواية ودراية، د. البشير علي حمد الترابي – دار ابن حزم – بيروت – ط1 1997.

القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث، رواية ودراية، د. البشير علي حمد الترابي – دار ابن حزم – بيروت – ط1 1997.

محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – ط: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، (د.ت.) ص/160.

المقري، شهاب الدين أحمد محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، ط: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – مصر-الطبعة الأولى 1939 -1358 – ص/2.

المقري، شهاب الدين أحمد محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، ط: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – مصر-الطبعة الأولى 1939 -1358 7/3.